

أخبار الأدب

الإنسان

6 يوليو 2008

د. ناصر إبراهيم

لكل منا مواقف عدة جديرة بأن تروى لكل من لم يحظ بمعرفة الدكتور رعوف عباس عن قرب ، وهي مواقف تشهد بإنسانيته النبيلة النادرة بقدر ما تشهد على إيمانه بالتواصل بين الأجيال وبطييب لي – من واقع تجربتي الخاصة معه – أن أذكر واحدة أو اثنتين من هذه المواقف : أذكر حين انتهيت من رسالة الماجستير (التي أعدتها تحت إشرافه) في سنة 1997م وجلت لي طرفاً مغلقاً ، ولما فتحت الطرف وجدت به مبلغاً كبيراً ، فسألته " ماذا أفعل به يا أستاذنا " ، فرد علي قائلاً " هذا لطبع الرسالة " ، فاندعشت أيما اندعاش ، ورددت الطرف إليه في الحال ، شاكرًا له نبل أخلاقه الكريمة ، ويعلم الله أنني خرجت من الموقف بصعوبة بالغة ، إذ كانت ممانعته جد مجهدة ، لأنه كان صادقاً كل الصدق في أفعاله ، لا يبتغي المداراة أو المباهاة.

وتكرر الأمر مرة أخرى ، وفي هذه المرة كانت مع الدكتوراه (التي كانت تحت إشرافه كذلك) : فقد حدث أنني قد أتيت يوماً أخبره أنني وجدت مجموعة كبيرة من وثائق الحملة الفرنسية (موضوع الدكتوراه) بالمكتبة المركزية – جامعة القاهرة ، وكنت قد صورت منها عدة ملفات ، لكنه بشفاقيته المعهودة وإحساسه العميق بحال الآخرين أدرك صعوبة الموقف ، وقام من فوره يسألني عن مرتبي وقيمة التصوير ، وحينئذ أدرك أنني أنفقت في التصوير ما يعادل نصف المرتب! فأخرج من حافظته قيمة ما صورت ، وقال لي : " إن كل ما ستصوره من تلك الوثائق من الآن سوف يكون على حسابي " فرفضت بشدة فجادت قريحته بعرض آخر لعله يخفف علي الحرج ، مقترحاً علي بأنه سيغطي كامل نفقات التصوير لقاء أن أرد إليه كامل ما صورته بعد الانتهاء من الإفادة منها في كتابة رسالة الدكتوراه ، ومعللاً ذلك بأنه سوف يودع النسخة المصورة بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية ليفيد منها الباحثون بعد ذلك ، فرفضت كذلك واعدت إياه بأن أودع الجمعية كل ما صورته بعد الانتهاء من رسالة الدكتوراه ، ويشهد الله على حدثه وصرامته في محالة إقناعي بعرضه السخي ، ولم أجد مفرًا من كرمه سوى بالانصراف سريعاً من مكتبه.

وفي المساء اتصل بي هاتفياً طالباً مني الحضور إليه في مكتبه بالكلية ، وقدمت إليه لأجده يقدم لي شيكاً بمبلغ كبير يفوق ضعف مرتبي الشهري عندئذ يمكنني تغطية نفقات تصوير تلك الوثائق وأوضح لي بأنه ، بوصفه وكيلاً للكلية ، طلب من مديرة الشؤون المالية والحسابات أن تبحث له عن دعم الكلية للنشاط العلمي لأعضاء تلمريس ، فوجد بنداً معيناً يسمح بذلك ، فلم أمتلك عندئذ سوى أن أقبل هذا الدعم شاكرًا له جهوده المخلصة والنبيلة في مساعدتي. وأشهد بأن هذا الدعم قد دال لي صعوبات جمة في جمع جزء كبير من المادة العلمية المتعلقة بالدكتوراه.